



52893 - ابنها يقع في الفاحشة ، فهل تحاسب على أفعاله ؟

السؤال

يبلغ ابني من العمر 15 عاما ، وقد ولد في أمريكا ونشأ فيها . ابني له صديقات ، وقد اكتشفت مؤخرا أنه يمارس الجنس مع إحداهن . وأناأشعر بالذنب ، لكنني لا أعرف كيف أتصرف . هل سيعاقبني الله جراء تصرفاته ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

ليس أعظم من المصيبة في الدين ؛ فهي المصيبة حقا ، نسأل الله السلامة منها ، وليس أكرم على الإنسان - بعد نفسه - من ولده ؛ فبهم سرور القلب وقرة العين ، قال الله تعالى:

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرْةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَقِّنِينَ إِمَاماً) الفرقان/74 ، لكن القلب لا يُسرُّ ، والعين لا تَقْرَرُ إلا بذرية صالحة ، طائعة لله ؛ قال الحسن البصري : (هي والله أن يُرى الله العبد من زوجته ، من أخيه ، من حميمه طاعة الله ، لا والله ما شيء أحب من أن يرى ولدا ، أو والدا ، أو حميما ، أو أخا مطينا لله عز وجل) تحفة المودود لابن القيم ص 424

ولا شك أن أعظم ما يُسأَل عنه الوالدان من حفظ أبنائهم ورعايتهم ، تربيتهم على طاعة الله تعالى ، وطردهم عن معصيته ؛ قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَاراً) التحرير/6 ، قال مجاهيد وغيره من السلف : أَوْصُوا أَهْلِيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدِبِيْهِمْ ، وقال قتادة : مُرُوْهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَنْهَوْهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُلَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْهُ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) البخاري 2554 ومسلم 1829 .

فقد دل هذا الحديث على أن المُكَلَّف يُوَالَّدُ بِالتَّقْصِيرِ فِي أَمْرٍ مَنْ هُوَ فِي حُكْمِهِ ، وتحت رعايته .

وقد نص الحديث على دخول الوالدين في هذا الأصل العام : (وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُلَةٌ عَنْهُمْ)



فالوالدان مسئولان عن أبنائهما ، لأنها أمراً أن يحرضا على وقايتهما من النار ، وأمثال أوامر الله ، واجتناب مناهيه . فإذا قام الوالدان بما يجب عليهما من تربية أولادهما التربية الصحيحة ولم يقصرا في ذلك ، فإنه لا إثم عليهما في هذه الحال إذا انحرف أولادهما . قال الله تعالى : (ولا تزرن وازرَةٌ وَزُرَّ أَخْرَى) الأنعام/164

وإذا كان كل أحد يفهم من الشرع ، وببيته عقله ، أنه إن فرط في واجب الأدب والتربية نحو أولاده ، فإنه مسئول عما وقعوا فيه من انحراف ، فإن مسئولية الأسرة التي تعيش في الغرب نحو أبنائها مسئولية من لون آخر ، هي أعظم من ذلك كله ؛ إنها مسئولية من ألقى ثمرة فؤاده في اليم ، مكتوفا !! .

وفي حالة ولدكما ، ومثلها كثير ، كان ينبغي سد أبواب الفتنة قبل أن تستفحـل وتشتعل نارها ؛ فليس في الإسلام علاقة صداقة بين رجل وامرأة أجنبية عنه ، لاسيما في هذه المرحلة الخطيرة من عمر ابنكما .

لكن السؤال الأهم ، الآن ، فعلا هو : كيف نتصرف ؟

إن عليكم ، أنت وأبوه ، أن تتحيلا بكل حيلة سريعة لإبعاد ولدكما عن هذه العلاقات الآثمة ، وقطع علاقاته بالنساء الأجنبية ، حتى ولو تحققتـما من أن هذه العلاقة لم تصل إلى أوحال الزنا ؛ فقد ذكرنا أن أصل هذه العلاقة مرفوض في الشرع .

وقد يكون من أهم الوسائل لإبعاده عن تلك العلاقات المحرمة التعجيل في تحصينه بالزواج ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يا معشـر الشـبابِ مـنْ اسـتـطـاعَ مـنـكـمُ الـبـاءـةَ فـلـيـزـوـجْ وـمـنْ لـمْ يـسـتـطـعْ فـعـلـيـهِ بـالـصـوـمِ فـإـنـهُ لـهُ وـجـاءُ) متفق عليه الباءة أي : تكاليف الزواج .

ومعنى وجاء أي : وقاية من الوقوع في الإثم .

لكنـما تعلـمانـ أنـ إـبعـادـ الشـابـ عنـ تـلـكـ العـلـاقـاتـ المـحـرـمـةـ لـيـسـ بـالـأـمـرـ السـهـلـ ، بلـ تـكـادـ هـذـهـ المـهـمـةـ تـكـونـ مـسـتـحـيلـةـ فـيـ الـبـلـادـ التيـ تـعـيشـونـ فـيـهاـ ؛ـ فـإـنـ الـمـحـضـنـ الـغـرـبـيـ الـذـيـ تـنـمـوـ فـيـهـ قـلـوبـ هـذـهـ الـذـرـيـةـ وـعـقـولـهـاـ ،ـ مـلـوـثـ بـكـلـ لـوـنـ مـنـ فـتـنـ الشـبـهـاتـ وـالـشـهـوـاتـ ،ـ تـلـكـ الـفـتـنـ الـتـيـ أـحـالـتـ ،ـ الـجـيلـ الـثـانـيـ وـالـثـالـثـ مـنـ أـبـنـاءـ الـمـسـلـمـينـ هـنـاكـ ،ـ إـلـىـ أـجـيـالـ تـتـفـلـتـ يـوـمـ بـعـدـ يـوـمـ مـنـ شـعـائـرـ الـإـسـلـامـ وـشـرـائـعـهـ ،ـ وـتـشـرـبـ بـدـلاـ مـنـهـاـ قـيـمـ الـغـرـبـ وـأـخـلـاقـهـ ،ـ حـتـىـ لـاـ يـكـادـ يـبـقـيـ لـهـاـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـأـمـرـ إـلـاـ "ـ بـرـكـةـ "ـ النـسـبـ !!

فيـعودـ السـؤـالـ إـلـيـكـمـ مـرـةـ ثـانـيـةـ :ـ هـلـ عـنـدـكـمـ مـنـ القـوـةـ فـيـ أـمـرـ اللـهـ ،ـ وـالـخـوـفـ مـنـ إـضـاعـةـ الـأـمـانـةـ نـحـوـ نـفـسـيـكـمـ أـوـلـاـ ،ـ ثـمـ نـحـوـ زـرـيـكـمـ ثـانـيـاـ ،ـ وـالـرـغـبـةـ فـيـ إـصـلـاحـ مـاـ فـاتـ ،ـ هـلـ عـنـدـكـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ مـاـ يـدـفـعـكـمـ لـلـتـضـحـيـةـ بـمـتـاعـ الدـنـيـاـ وـزـينـتـهـاـ فـيـ بـلـادـ الـغـرـبـ ،ـ وـالـعـودـةـ بـأـبـنـائـكـمـ إـلـىـ بـلـدـكـمـ ،ـ أـوـ إـلـىـ حـيـثـ تـكـوـنـونـ أـكـثـرـ أـمـنـاـ عـلـىـ دـيـنـكـمـ ،ـ قـبـلـ أـنـ يـفـوتـ الـأـوـانـ ،ـ وـيـأـتـيـ الـمـوـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـ ؛ـ فـيـقـولـ قـائـلـ :ـ (ـ رـبـ اـرـجـعـونـ (99) لـعـلـيـ أـعـمـلـ صـالـحـاـ فـيـمـاـ تـرـكـتـ كـلـاـ إـنـهـاـ كـلـمـةـ هـوـ قـائـلـهـاـ وـمـنـ وـرـائـهـمـ بـرـزـخـ إـلـىـ يـوـمـ يـبـعـثـونـ (100) الـمـؤـمـنـونـ 99-100ـ)ـ وـقـبـلـ أـنـ نـرـىـ تـأـوـيلـ مـاـ فـعـلـنـاـ ؛ـ أـيـ :ـ عـاقـبـتـهـ :ـ (ـ يـوـمـ يـأـتـيـ تـأـوـيلـهـ يـقـولـ الـذـينـ نـسـوـهـ مـنـ قـبـلـ قـدـ



جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرَدُ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) الأعراف/99 ؟

أم إن المسؤولية لا تستحق هذه التضحية ؟ !

وقد تقولون : إن أكثر بلاد المسلمين اليوم يعج بالفتن والمنكرات ، فلن توفر لنا البيئة الصالحة لتنشأة الذريعة على الشرع النقى ، فما الفائدة من هذه النقلة ؟ !

فيقال : نعم ، وأنتم محقون إلى حد كبير ، لكن إذا لم نستطع جلب الخير كله ، فلنكسن أقصى ما نستطيع منه ، وإذا لم يمكن دفع الشر كله ، فلندفع أقصى ما يمكننا منه ، وبعض الشر أهون من بعض !!

والأمر فقط يحتاج إلى صدق مع النفس ، وصدق الله العظيم : (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَانِيرَهُ)
القيامة/14-15

والله يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى .